الزرمانقة وأصلها

للأب أنستاس مارى الكرملى
من أحياء مجمع فؤاد الاول للغة العربية

جاء في قاموس الفيروزابادي : والزُرمانقة بالضم جبة من صوف . معرب أشتربانه أي «متاع الجمال» وقد تبع هذا الرأي كل من بحث عن هذه الكلمة من أبناء الناطقين بالضاد . ونحن لا نرى البتة هذا الرأي ، إذ بين الحرفين من الفرق ، كما بين الثرى والثريا ، أو كما بين البقة والبقرة . ولا يهمنا قال فلان كذا ، أو قال آخر كذا ، انما نرمي إلى التحقيق ليس إلاّ .

والمستشرقون لم يقبلوا هذا الأصل الفارسي الذي يحيل بعضهم عليه ، فقد نظر فرنكل (ص ٢٨٩ من كتابه إلى رأي نولدكي أي الى انها من (كره بان) أي حافظ الرقبة من (كره) أي عنق او (بان أي حافظ) ولكن كليهما شك في صحة هذا الأصل ولم يقنع بهذا الفكر . ولهذا جعل وراء (كره بان ؟) علامة الاستفهام ، دلالة على عدم اقتناعه به .

ونحن أيضاً لا نوافق على رأي من يقول بهذا الأصل أي (اشتربانه) ولا على رأي من يقول إنها من كره بان ، والذي عندنا ان (الزرمانقة) مأخوذة من (جرمانقة) وهي اسم بلدة تسمى اليوم (مرعش) ، وكانت تعمل فيها أكسية منسوبة اليها ، وهي جبب من صوف أو من وَبَر الجمال .

قال السيد مرتضى في تاجه : « الزرمانقة بالضم جبة من صوف . نقلهُ الجوهري . ومنه الحديث : ان موسى عليه السلام ، لما أتى فرعون ، أتاه وعليهِ زرمانقة ، يعني جبة صوف . قال أبو عبيد : أراها عبرانية . قال : والتفسير هو في الحديث . ويقال : هو فارسي معرب اشتربانه أي متاع الجمل» اه . — قلنا : وفي القاموس — كما رأينا : متاع الجمّال ، بتشديد الجيم يليها ميم مفتوحة

قلنا : ليست في العبرية كلة تشبه هذا اللفظ ولا بهذا المعنى . وأما في الفارسية ،

فالكلمة (اشترباته) بعيدة عن الزرمانقة . هذا فضلاً عن ان (اشتر) معناها الجمل ، الحيوان المعهود ، لا الجمّال أي صاحب الجمل . ولم ترد (باته) عندهم إلاّ بمعنى العانة، ولا محل لهذا المعنى هنا .

والمعروف في الفارسية (أُشْتُرْوَا) وهو ثوب يتخذ من الوَبَر و (أُشتروَارْ) أو (أُشترباذ) حمل أو وَقر جمل. و(اشتُراته) أو (أُشتُراوه) ثوب يتخذ من الوبر، وقد صحفهُ بعضهم فقال (أشترباته) وكلاهما خطأ ، إذ لا وجود لها في الفارسية الفصحى . والصواب أن الكلمة من اللاتينية Germanicíana ومعناها تَرْمَشِيَّة بتقدير جُبَّة ، فيكون معنى زُرْمَانقة : جبة مرمشية ، أو تعمل في مرمش ، وهي من مدن الثغور ، لأن هذه البلدة تسمى بالرومانية Germanicia (جرمانيقية) واليونانيون لا يستطيعون التلفظ بالجيم ، فيجعلونها زايًا ولهذا يقولون (زرمانيقية) ، ثم خففت تخفيفاً طبيعياً بحذف الياء فقيل زرمانقة .

والكلمة معروفة اليوم عند الارمنيين (وهم الذين يسمون وهمًا وخطأً كلدانًا وسريانًا بصورة (جُرْمِيناقَا) بمعنى زرمانقة؛ وقد أفرغوها بقالب لغتهم، صاغها بنو مُضَر صياغة مُضَرية ، وفسرها بعضهم بانها ثوب عشو ومبطن وقد وردت هذه الكلمة بصورة ثانية في لساننا هي جرمقي وزان زبرجي .

***

الكساء الجرمقي هو الزرمانقة

الكساء الجرمقي هو عندنا الزرمانقة بنفسها ، وان لم يصرح بهذا المعنى أرباب نصوص اللغة قال في القاموس في تركيب (ج ر م ق) ، الكساء الجرمقي بالكسر ، وفي التاج : « قال الفراء : كساء جرمقي ، بالكسر ، كذا في التكملة » ولم يزد على هذا القدر ولم يشرحوه » . اهـ

والذي عندنا أنهُ الزرمانقة نفسها ، فهذه الصورة اللاتينية، والجرمقي بالصورة المخففة العربية، كما قالوا في عبد القيس وامرىء القيس وعبد مناف وعبد شمس ، عبدي وامرئي ومناف وعبشمي، الى نظائرها، وكل ذلك عاملاً للخفة.

ولماذا لم يشرحوا الجرمقي كما شرحوا الزرمانقة ؟ — قلنا : لذلك أسباب ، منها :

وهو الأول : إنهم كانوا يعرفون معناه حين تدوينه في المعاجم .

الثاني : شهرة ذلك المعنى والشهرة تغني عن التعريف .

الثالث : استغناؤهم بقولهم : كساء وما كان مشهوراً يومئذٍ بكساء هو الرومانتة ولم يفكروا أن الأجيال القادمة قد تختلط بمختلف الامم ذوي الألسنة المختلفة فيعسر معرفة المعنى إلَّم يشرح بتفصيل واضح

الرابع : لعلَّ بعضهم شرحوه ولم يتصل بنا .

الخامس : ضبطه بعضهم وزان جعفري ، كما فعل صاحب (معيار اللغة) وهو اليرزا محمد علي بن محمد صادق الشيرازي من اللغويين المتأخرين ، ومعجمه مطبوع في طهران طبعاً حجريًّا سنة ١٣١١ للهجرة ، فقد قال في مادة (ج و م ق) : « جرمق كمسكر : بلد ، أو موضع وكساء جرمقي منسوب اليه اه . وضبطه ضبط قلم كمسكري ، وهو خطأ واضح لأنه مخالف لجميع من صرحوا بضبطه أي كزبرجي بكسر الزاي والراء .

اختلاف بعض اللغويين المحدثين في شرحه

جاء في ذيل أقرب الموارد للشرتوني : « كساء جرمقي بالكسر كذا بالنكلة وهو منسوب الى الجرامقة » اه

قلنا : قوله : وهو منسوب الى الجرامقة ، ولم يرد في النكلة ، فهو من عنده ومن زياداته .

وفي البستان وهو للشيخ عبد الله البستاني : « الجرمقي كساء منسوب الى الجرامقة » — وهذا خطأ في خطأ . إذ لم يقل أحد : جرمقي بدون منعوت بل قال جميعهم كساء جرمقي . ولم ينسبوه الى الجرامقة ، بل نسبوه الى جرمانيقية أي مَرْعَش وهي مدينة لا قوم ، فاختلط عليه الحابل بالنابل والبقة بالبقرة .

وجاء في معجم فريتغ العربي اللاتيني ما هذا معناه . « زرمانقة . كذا . أي انه ضبط ضبط قلم بفتح النون وهو خطأ ، جبة من صوف (نقلا عن القاموس) : ويقال : إنها من الفارسية : اشترباته . وعليه يدفعنا اشتقاقها هذا ، الى القول بأنها من ألبسة الجاهلين » اه وهذا كلام معقول وان لم يكن صحيحاً